

الفارس الشيخ طالب بن حميدان بن مصطفى بن أحمد الحتاملة

ولد طالب بن حميدان في إربد لعام يقارب ١٨٥٠م - ١٨٦٠م ، وعاش يتيماً عند جده مصطفى بن أحمد الحتاملة ، وتزوج من ثلاثة نساء ، أولهم الحاجة خزاري عبدالعزيز محمد الحتاملة والحاجة فلحه الملكاوي وهي أخت الشيخ علي الملكاوي والحاجة فضيه سعود الشعبي من فلسطين التي عاشت لعمر زاد عن المائة عام ، وعندها من الإخوان يوسف ومصطفى وفايز وعلي وأحمد سعود الشعبي وما زال أحفادهم يسكنون إربد ، وقد قصت لنا الحاجة خديجة شريف أبو شريفة بعمرها الذي تجاوز ٩٠ عام ، بأنها تزوجت صغيرة بالسن وسكنت مع زوجها عام ١٩٤٨م في إربد ، وأن الحاجة فضيه سعود الشعبي كانت جارتها ، وأن الحاجه فضيه قصت لها كيف تزوجها الشيخ طالب بن حميدان بجاهة ذهبت إلى فلسطين بما يقارب عددها المائة فارس لطلب يدها من والدها الشيخ سعود الشعبي .

كان أجداد الشيخ طالب بن حميدان يسكنون المغر وبيوت الشعر في إربد ، حيث لم يكن وارد في زمانهم بناء البيوت الحجرية إلا من النادر ، وقد ذكر الدكتور عليان عبد الفتاح الجالودي في كتابه قضاء عجلون أن منزل الشيخ طالب بن حميدان يقع جنوب تل إربد الروماني ، ويقال أنه كان يعد من ثماني إلى تسع غرف وبئر ماء إمتداد أرض ساحة الحسبة من الشمال بالوجه مباشرة لساحة الأفراح سابقا .

كان للشيخ طالب بن حميدان أخت وحيده تزوجها شيخ الدرايسة من الرمثا ، حيث عاشت مع أخاها عند جدها لفترة قصيرة قبل أن يتوفاه الله ، وبعدها عند عمها حماد بن مصطفى بن أحمد الذي قام برعايتهم .

وكان يمتلك الإبل والمراعي ، وكان يعمل على زراعة القمح وبيعه للدولة العثمانية ، وكان يملك من أراضي قصبة إربد مساحات واسعة لزراعتها مع عمه حماد كما وصفت لنا سجلات الضريبة العثماني آنفت الذكر .

وقد كان شجاعا مقداما شد أزره أعمامه اللذين عرفوا بنصرهم للضعيف ومساعدتهم للمحتاج الهين ، وفي القصة التي وردت أنه في إحدى غدواته بمرافقة عمه حمدان خارج إربد وفي طريق رجوعهما سمعا صوت إستغاثة إمرأة تفصيلا للحدث الذي وقع بذاك الوقت فقد حكم على الشيخ طالب بن حميدان بالسجن عشرة أعوام مع عمه حمدان بن مصطفى بن أحمد حسب وثائق جامعة إسطنبول قسم التوثيق والمكتبات (الإرشيف العثماني) بسبب قتله مجموعة من قطاع الطرق اللذين إعتدوا على أحد السكان وحاولو خطف زوجته وقاموا بقتل إبنته من قصبة إربد ، ففي القصة أن مجموعة من قطاع الطرق إتفقوا مع أحد الرعاة اللذين يعملون عنده لكي يدلي لهم عن البيوت لغاية سرقتها ونهبها وخطف زوجة إحدى الأهالي ، ولو رجعنا إلى سجلات القضايا في ذلك الوقت سنجد أن حالات الخطف في البلاد كانت واردة وبكثرة ، وما أن علم الشيخ طالب بذلك ومعه عمه حمدان سرعان ما قاموا باللحاق بمجموعة منهم بإتجاه وادي الغفر وإطلاق النار عليهم وقتلهم ، وبعدها أخبره أحد الرعاة الآخرين أن الراعي الذي ساعدهم قد هرب بإتجاه بلدته بإتجاه الأغوار الشمالية ، وقام باللحاق به وقتله في قرية تقبل قرب فوعرا والتي سميت المنطقة لغاية الآن التي حصل فيها الحدث بـ حوض مقتل الغوراني ، ويقال أن المحكمة البدائية أصرت على تنفيذ الحكم عليهم لسبب مقتل الراعي الغوراني وإكتفت بذلك دون النظر لمقتل البقية من قطاع الطرق .

نقل الشيخ طالب مع عمه حمدان إلى سجن تركيا ، وقضى سنوات قليله ولم يكمل مدة حكمه ، أما عمه حمدان بن مصطفى توفاه الله في السجن لأسباب نجهلها ، وبعد أن خرج الشيخ طالب من السجن كان وجه من وجوه وكبار الشخصيات في حكومة جبل عجلون مدون إسمه لغاية الآن في مضافة عشيرة الفريحات الكرام .

لباسه لباس الفرسان والمشايخ يطلق عليه المزنوك المزين بخيطان الحرير لإظهار مكانة لابسها وتحته ثوب الردن ذو أكمام مثلثية بيضاء طويلة ومتدلية إلى الأرض ، يلبس ثوب الردن تحت المزنوك الأساسي ، والهدف منه إبراز أكمامه الطويلة ، ويعد ارتداءه نوع من الافتخار كدلالة على الفروسية والمهارة في القتال ، وكان أهالي حوران قديما يتغنون بصاحب الأردان بتسميته ((مياح الأرداني)) .

رزق الشيخ طالب بن حميدان بخمسة أبناء أكبرهم :

١. الحاج عبد الحفيظ بن طالب والذي كان يلقب بـ شهبندر التجار والذي كان مكان تجارته في ساحة سوق الذهب مقابل بلدية إربد حاليا وما زال أحفاده يحتفظون بوصيته والتي تعتبر كأعظم وأكبر قيمة مالية في تاريخ الأردن في تاريخها اللهم تقبل منه والتي أوصى بها حبا للإسلام وداعما للمجاهدين في سبيل الله ونصرة لفقراء إربد وبناء مساجدها حاله كحال والده وأجداده الذين سبقوه بتقديم الخير والمساعدة ، وهو من مواليد إربد عام ١٨٨٢م والحاصل على الجنسية العثمانية قبل إن يسن قانون الجنسية الأردني (إمارة شرق الأردن) .

وحيث أتى في نص الوصية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيد خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أجمعين .

أنا عبد الحفيظ الطالب من عشيرة الحتاملة في إربد وأنا بالحالة المعتبرة شرعاً التي تتيح لي التصرف صحيح الجسم سليم العقل والحمد لله أقر وأعترف أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أدى الأمانه وبلغ الرسالة ونصح الأمة فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء وأن الموت حق وأن الساعة آتيه لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأن المرء لا يجد إلا ما قدم وأن الفائز من عمل .

قال تعالى ((وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا)) .

وبناءا على ذلك ولقلة كفائتي وعملاً لسنة الرسول عليه الصلاة والسلام أوصي بكامل إختياري وطوعي بمبلغ (ثلاثمائة) ليرة ذهبية رشادي وزن كل ليرة درهمين وربع الدرهم من الذهب تثمن وقت تنفيذ الوصية بالمبلغ الذي تساويه من العملة الدارجة وأوصي أن توزع هذه الوصية لما يأتي :

- يشترى منها أضحية جمل ورأس بقر وكبش من الغنم البيضاء مستحقة للشروط الشرعية .

- يوزع الباقي من المبلغ بالتساوي لفقراء مكة المكرمة الخمس ولفقراء المدينة المنورة الخمس ولفقراء القدس الشريف الخمس ولفقراء إربد الخمس وللمجاهدين في سبيل الله وبناء وتعمير المساجد الخمس على شرط أن يكون الفقراء من المسلمين المحتاجين وأنني أشهد الله وملائكته وكتبه ورسله على الذي ذكرته وأجعل تنفيذ هذه الوصية أمانه في أعناق ورثتي لا يحق لهم تغييرها ولا تبديلها ومن حاول تغييرها وتبديلها فإثمه على نفسه وحسابه على الله وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه وأسأله بحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تم هذا بختام والوفاء على الإيمان والثبات في ساعة تزل فيها الأقدام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأنا لله وإنا إليه راجعون وأفضل الصلاة وأتم التسليم على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته أجمعين حتى يهون كل أمر عسير وحتى يرث الله الأرض ومن عليها جرى تحريره في اليوم الخامس من شهر جماد الثاني سنة ألف وثلاثمايه وثمان وثمانون من هجرة سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأزواجه وذرياته أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وقد شهد عليها كل من سليمان الحاج إبراهيم القضاة ومحمد الحاج عبد القادر المحمود ومحمد سليمان الدرايسة من الرمثا وعبود علي أبو غنيمه وعدنان محمد ومحمد توفيق عبدالحفيظ الحتاملة .

ويذكر أن كل ليرة ذهب رشادي تزن ٧.٢٠ جرام و من عيار ٢٢ ، وهي تركية المنشأ وسميت ليرة الذهب الرشادي نسبة الى السلطان رشاد وحيث حررت هذه الوصية بتاريخ ٢٩ / ٨ / ١٩٦٨م [٥ / ٦ / ١٣٨٨هجري] .

٢. الحاج عبده بن طالب بن حميدان كان يعمل تاجراً في بيع القمح والخضار وكان من كبار الداعمين لأخواننا المجاهدين في فلسطين حاله حال أخوه الأكبر ووالده .

٣. الحاج عبد الحميد بن طالب بن حميدان .

٤. الحاج عبد المجيد بن طالب بن حميدان .

٥. الحاج عبد الرحيم بن طالب بن حميدان .

ورث أبناء الشيخ طالب بن حميدان ما يقارب ١٩٠ دونم في قصبة إربد كانوا يزرعونها بأنواع مختلفة من المحاصيل الزراعية ومن أهمها القمح وكانوا من أصحاب كبار البيادر في ذاك الوقت مع أبناء عمومتهم من نفس العشيرة ونذكر منهم حامد المحمود أفندي الحتاملة والحاج سريان بن إبراهيم بن علي بن مصلح بن أحمد الحتاملة ، وكان يملك أيضا ٢٤٠ دونم تم إستملاكها بوقت إمارة شرق الأردن .

ومن بعض الروايات التي تذكر والتي أكدها كبار السن من عشيرة الحتاملة والقبائل الأخرى التي عاشت مع الحتاملة كأسرة واحده أن الشيخ طالب بن حميدان وحامد المحمود أفندي والحاج سليمان بن سريان كثيرا ما قاموا بإهداء من الأراضي لأشخاص إنتقلوا إلى إربد كمساعدة على العمل والزواج والإستقرار فيها .

وحسب دفاتر الطابو العثماني وكشوفات الأراضي لإمارة شرق الأردن كان يملك الشيخ طالب بن حميدان مع عمه حماد بن مصطفى ساحة الأفراح ، وقد ورثها عنهم أبنائهم وقد بيع منها جزء وقامت بعدها بلدية إربد بإستملاكها وأقامت عليها حسبة لبيع الخضار والفواكة وكان شريك مع عمه حماد في أول تسجيل لأملاك سوق قصبة إربد في عام ١٨٨٣م في الحارة التحتا وكان يملك أيضا مع عمه حماد بئر ماء رقم ٤ حوض البلد ورثه عنهم أبنائم ولا يزال لغاية الآن مسجل بأسماء الورثة .

●● كتابة وتوثيق أحمد فتي الحتاملة